نفي ج

والثاني النقايص والعيوب وقد نفى بها التولد من الطرفين وتضمنت اثبات جميع صفات الكمال باثبات الاحدية والصمدية فالصمدية تثبت الكمال المنافي للنقايص والاحدية تثبت الانفراد بذلك فان الاحدية تقتضي انفراده بصفاته وامتيازه عن خلقه بذاته وصفاته والصمدية اثبات جميع صفات الكمال ودوامها وقدمها فان السيد الذي يصمد اليه لا يكون الا متصفا بجميع صفات الكمال التي استحق لاجلها ان يكون صمدا وانه لم يزل كذلك ولا يزال فان صمديته من لوازم ذاته لا تنفك عنه بحال ومن هنا فسر الصمد بالسيد الذي قد انتهى سودده وفسره عكرمة بالذي ليس فوقه احد وروي عن علي وعن كعب انه الذي لا يكافيه احد في خلقه وعن ابي هريرة قال هو المستغني عن كل احد المحتاج اليه كل احد وعن سعيد بن جبير قال هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وعن الربيع قال هو الذي لا تعتريه الآفات وعن مقاتل بن حيان قال هو الذي لا عيب فيه وعن ابن كيسان هو الذي لا يوصف بصفته احد وعن قتادة الصمد الباقي بعد خلقه وعن مجاهد ومعمر هو الدايم وعن مرة الهمداني هو الذي لا يبلى ولا يفنى وعنه ايضا هو الذي يحكم ما يريد ويفعل ما يشا لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه فقد تضمنت هذه السورة العظيمة اثبات صفات الكمال ونفي النقايص والعيوب من خصايص المخلوقين من التولد والمماثلة واذا كان منزها عن ان يخرج منه مادة الولد التي هي اشرف المواد فلان يتنزه عن خروج مادة غير الولد اولى وكذلك تنزيهه نفسه عن ان يولد فلا يكون من مثله تنزيه له عن ان يكون من ساير المواد بطريق الاولى فمن اثبت له ولدا فقد شتمه وقد ثبت في الصحيح صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد وفي صحيح البخاري ايضا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا وقد رد الله على من زعم انه لا يعيد الخلق وعلى من زعم ان له ولدا كما تضمنه هذا الحديث في قوله ويقول الانسان ااذا ما مت لسوف اخرج حيا الى قوله لقد جيتم شيا ادا وفي صحيح البخاري ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا احد اصبر على اذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم فهذه السورة الكريمة تضمنت نفي ما هو من خصايص الهة المشركين عن رب العالمين حيث جا في سبب النزول انهم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه من اي شي هو امن كذا ام من كذا وممن ورث الدنيا ولمن يورثها حيث كان اعتقادهم في الهتهم انهم يلدون ويولدون ويرثون ويورثون والهتهم من مواد مصنوعة منها فانزل الله هذه السورة وفي المسند من حديث ابي بن كعب بعد ذكر نزولها لانه ليس احد يولد الا يموت ولا احد يورث الا يورث يعني كل من عبد من دون

الله

٦

الله وقد ولد مثل المسيح والعزير وغيرهما من الصالحين ومثل الفراعنة المدعين الالهية فهذا مولود يموت وهو ان كان ورث من غيره ما هو فيه فاذا مات ورثه غيره والله سبحانه حي لا يموت ولا يورث سبحانه وتعالى اعلم سوال نفي سبحانه الولادة قبل نفي التولد والتولد اسبق وقوعا من الولادة في حق من هو متولد وجوابه ان الولادة لم يدعها احد في حقه سبحانه وانما ادعوا انه ولد فلذلك قدم نفيه لانه هو المهم المحتاج الى نفيه سوال اخر كيف نفى ان يكون مولودا ولم يعتقده احد جوابه من وجهين احدهما انهم سالوا عمن ورث الدنيا ولمن يورثها وهذا يشعر بان منهم من اعتقد ذلك والثاني انه نفى عن نفسه سبحانه خصايص الهة المشركين فان منهم من عبد المسيح ومنهم من عبد العزير وهما مولودان ومنهم من عبد الملايكة والعجل وهي متولدات وقد تقدم ان نفي الولادة متقدم على نفي التولد بطريق الاولى فايدة قال ابن عطية كفوا خبر كان واسمها احد والظرف ملغى وسيبويه يستحسن ان يكون الظرف اذا تقدم خبرا ولكن قد يجي ملغى في اماكن يقتضيها المعنى كهذه الاية ولقول النابغة انشده سيبويه ما دام فيهن فصيل حيا ويحتمل ان يكون كفوا حالا لما تقدم من كونه وصفا للنكرة كما قال لعزة موحشا طلل قال سيبويه وهذا نقل في الكلام وبابه الشعر فهذه السورة تتضمن انفراده ووحدانيته وانه منقطع النظير وانه المنزه عن ان يكون من اجناس المخلوقين لان افراد كل جنس من هذه الاجناس متكافية متماثلة والذهب يكافي الذهب والانسان يكافي الانسان ويزاوجه ولهذا قال تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين فما من مخلوق الا وله كفو هو زوجه ونظيره وعدله ومثله فلو كان الحق من جنس شي من هذه الاجناس لكان له كفو وعدل وقد علم انتفاوه بالشرع والعقل فهذه السورة هي نسب الرحمن وصفته وهي التي انزلها الله في نفي ما اضاف اليه المبطلون من تمثيل وتجسيم واثبات اصل او فرع فدخل فيها ما يقوله من يقوله من المشركين والصابية واهل الكتاب ومن دخل فيهم من منافقي هذه الامة من تولد الملايكة او العقول او النفوس او بعض الانبيا او غير الانبيا عنه ودخل فيها ما يقوله من يقوله من المشركين واهل الكتاب من تولده عن غيره كالذين قالوا ان المسيح هو الله والذين يقولون في الدجال انه الله والذين يقولون ذلك في علي وغيره ودخل ما يقوله من يقوله من المشركين واهل الكتاب من اثبات كفو له في شي من الاشيا من يجعل له تشبيها او تجسيما كفوا او يجعل له بعبادته غيره كفوا او يجعل باضافة بعض خلقه الى غيره كفوا فلا كفو له في شي من صفاته ولا في ربوبيته ولا في الهيته فتضمنت هذه السورة تنزيهه وتقديسه عن الاصول والفروع والنظرا والامثال وليس في المخلوقات شي الا ولا بد ان ينسب الى بعض هذه الاعيان والمعاني فالحيوان من الادمي وغيره لا بد ان يكون له اما والد واما مولود واما نظير هو كفوه وكذلك الجن والملايكة كما قال تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين لعلكم تذكرون قال بعض السلف لعلكم تذكرون فتعلمون ان خالق الازواج واحد قال تعالى والشفع والوتر قال مجاهد كل شي خلقه الله فهو شفع قال تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين الكفر والايمان والهدى والضلالة والشقاوة

Copyright © King Saud University